



عن «المهرولون» و «متى يعلنون وفاة العرب» وديمقراطية الكلمة وأشياء أخرى:

## نزار قباني

### لا أخاف على قصيدتي .. من القصيدة الإسرائيلية!

- إليكم أقدم إفادتي عن عشقي المصري.. وعليها توقيعى!!
- الشعر وحده هو مولاي وسيدى!
- منذ «هوامش على دفتر النكسة» عام ١٩٦٧ تخلت في شعري عن عقلية الفتوات!
- إسرائيل ليست بُعبُعا ثقافيا يخيفنا!
- أجد بلادي بقصائدي حتى تقف على قدميها!
- منذ هزيمة ١٩٦٧ استقلت من حزب عنتره بن شداد!
- العالم العربي - اليوم - شوربة يختلط فيها اليميني باليساري، بالماركسي بالرأسمالي، بالعلماني بالأصولي، بالقطري بالوحدوي بالانفصالي، بالقبلي بالطائفي!!

- في الخمسينيات كنا نكتب لشارع عربي ملتحم وموحد النسيج.. أما في التسعينيات فنحن نكتب على الماء.. والهواء!
- لا يمكنني تجميل الوطن إذا لم يكن جميلاً!
- الشاعر (فرخة) يذبحونها ويقدمونها في الحفلات الرسمية.. فهل تستطيع فرخة مذبوحة أن تقدم البديل؟!
- أولوف الخناجر التي زرعتها النقاد والرجعيون والمتزمتون في جسدي خلال خمسين عاما كانت بسبب واقعتي في شعر الحب أو شعر السياسة!
- في زمن تنكيس الرايات.. واستقالة السيوف، وموت الصهيل.. فإن كل قصائد الفخر التي نقولها لا تساوي مليما واحدا!
- لا أجد نفسي مضطرا للاعتذار لأحد عن قصيدتي (متى يعلنون وفاة العرب)!
- أنا عصفور يغنى لهذه الأمة.. ولست مجلس السوفييت الأعلى.. أو مجلس الكونجرس.. أو مجلس قيادة الثورة!!
- سقطت قصيدتي (متى يعلنون وفاة العرب) بين أيدي القبائل فاغتصبوها كل على طريقته!
- الضريبة التي دفعها المثقفون تحت وطأة إرهاب التطرف.. هي ضريبة قديمة يدفعها كل من يفكرون بالتغيير.. أو بالتنوير.. أو بخض عقول حجرية!

كان شرطنا المتبادل قبل بدء هذا الحوار هو أن يكون صريحا بلا حدود، وتصادمية إلى آخر مدى، وحقيقيا لا يأتيه الزور من بين يديه ولا من خلفه! (اتفقنا) على أن يكون (اختلافنا) بلا سقوف تفرضها علنية الحوار الصحفي، وعموميته.

و (اتفقنا) على أن (اختلاف) وجهات نظرنا أو آرائنا، لا ينبغي أن يتقيد بأية شكليات شخصية أو بروتوكولية، سواء في شكل الأسئلة المرسله، أو في حرفية الإجابات الموجهة.

وهكذا - بالضبط - كان حوار «الأهرام» مع الشاعر الكبير نزار قباني الذي يخوض الآن واحدة من أسخن معاركه، ويشتبك على ساحات متعددة في آن واحد، فمن قصيدة (المهرولون) لقصيدة (متى يعلنون وفاة العرب؟)، لبعض نبش وفتح في الملفات القديمة من (هوامش على دفتر النكسة) إلى (علاقة الكلمة والسلطان).. ثم إلى مناقشات شعرية وأدبية صرفه تمتد من الموقف من قضية الحداثة حتى الموقف من النقاد وحركتهم النقدية.

وأخيرا يصل الحوار إلى نقطة أعطى فيها الشاعر ما أسماه إفادته عن عشقه المصرى وعليها توقيعه.

وهنا نص الحوار:

- «المهرولون» [قصيدتك - المعركة] الأخيرة، فتحت بابا جديدا للصدام والاصطدام معك. هل تظنك كنت فيها مع حتمية التاريخ تقف إلى جوار المستقبل، وإلى جوار عواطف وأفكار

الجبل الطالع، أم كنت مع تاريخك أنت، تقف إلى جوار الماضي  
الذي كان.. وإلى جوار تجربتك الشخصية سياسية كانت أم  
شعورية؟

○ أنا شاعر لا يرمج قصائده ومشاعره، ولا يسعى لاسترضاء أحد سوى  
الشعر.

الشعر وحده هو مولاي وسيدى، وهو الذى يأمرنى فأمتثل، ويستكتبنى  
فأكتب.. ويقول للقصيد كوني فتكون..

أنا لا أنبش فى رماد الماضى قط.. ولا أقف على الأطلال، ولا ألتفت -  
إطلاقا - إلى قصيدة كتبته قبل يومين.

إن عيني دائما على الأفق، وعلى شواطئ لا أعرفها، ومدائن لا أعرفها..  
وعلاقات لغوية وإبداعية لا أعرفها.

إننى أبحث دائما عما يدهشنى، قبل أن يدهش الآخرين.

لذلك تنفجر الأعاصير من حولى بين فترة وأخرى دون أى تخطيط سابق،  
وكما قلت دائما: لست أنا الذى أكتب القصيدة، بل هى التى تكتبنى.

القصيدة تنفجر بين يديّ، وتبتر أصابعى.. ولكننى لا أستدعى سيارة  
الإسعاف، وإنما أتلذذ برؤية دمي السائل.

● يعنى البعض - بمناسبة الهرولة - فى الحديث عن تحديات وأهوال  
صراع ثقافى وحضارى قادم بين العرب وإسرائيل، هل ترى  
لإسرائيل ذلك الوزن والثقل الثقافيين من خلال آراء مثقفىها أو  
إبداعات فنانيها، والذى يجعل العرب ترتعد فرائصهم أمامها  
خوفا من أن تبتلعهم ثقافيا أو تكتسحهم فنيا؟

○ إسرائيل ليست بعبء ثقافيا يخيف أحدا سوى ضعفاء النفس وضعفاء

الإرادة. قد تتفوق إسرائيل علينا عسكريا وتكنولوجيا وتنظيما، ولكنها من حيث الإبداع تأتي في الدرجة العاشرة. فشعراؤنا أهم من شعرائها، وروائونا أعظم من روائبيها، وفنانونا التشكيليون ومسرحيون وممثلونا ومغنوننا متفوقون على الإسرائيليين بشكل حاسم. ولقد تعايش اليهود معنا في المنطقة منذ عصر النهضة حتى اليوم، فلم يخرج من بينهم شعراء بمستوى شوقي ومطران والبارودي، أو كتاب كالعقاد، وتوفيق الحكيم، وطه حسين، ونجيب محفوظ، أو مفكرون كمحمد عبده، ورفاعة الطهطاوي، وعلى عبد الرازق، أو موسيقيون ومغنون كسلامة حجازي، ومنيرة المهدية، وسيد درويش، وأم كلثوم، ومحمد عبد الوهاب، أو ممثلون ومسرحيون على مستوى فاطمة رشدي، ونجيب الريحاني، ويوسف وهبي، وأمينة رزق.

إذن لا خوف علينا من أية هجمة إسرائيلية تلغينا وتمحو ثقافتنا، فنحن متجذرون في هذه الأرض شعرا، ونثرا، ورسما، ونحتا، وعمارة، وإبداعا. منذ خمسة عشر قرنا. وإذا تحدثنا عن الحضارة الفرعونية، والآشورية، والفينيقية، والكنعانية، والبابلية، والسومرية، والآرامية، والكلدانية. . . فيمكننا أن نقول: إننا أولاد حضارة عمرها خمسة آلاف سنة.

شعريا لا أشعر بأى عقدة من أى شاعر إسرائيلي. قالشعر من مواليد الجزيرة العربية، وسوف يبقى كذلك. . .

قد يكون لدى إسرائيل قنابل نووية تهددنا بها. . . ولكن ليس لديها قصيدة جيدة واحدة تهدد بها الشعر العربى!!

### النفخ فى قربة مثقوبة!

- كان رد الأستاذ نجيب محفوظ حول (المهرولون) يحمل معانى ودلالات مهمة، وكان ردك على الرد يحمل أيضا منطقا خاصا ومتماسكا. هل يمكن اختزال الموقف فى هذه القضية التى تطرح

نفسها بقوة على الساحة العربية السياسية والثقافية فى الرسائل  
(اللطيفة) بينك وبين الأستاذ نجيب محفوظ، أم أن هناك تيارات  
واسعة تتبنى مواقف مختلفة حول هذه القضية؟

ارسم - من فضلك - ملامح خارطة عربية ثقافية تحدد فيها مواقع  
القوى وحركة التيارات حول هذه القضية؟

○ لا يمكن رسم أية خارطة سياسية أو ثقافية للعالم العربى الحالى .. فلقد  
تمزقت جميع الخرائط، وتداخلت كل الخطوط والألوان.

العالم العربى اليوم (شورية) يختلط فيها اليمىنى باليسارى، بالماركسى  
بالرأسمالى، بالعلمانى بالأصولى، بالقطرى بالوحدوى بالانفصالى، بالقبلى  
بالطائفى .. وأمام هذه اللوحة الموزائىكية المرعبة .. لا يمكن للكاتب أن يعرف  
مكان رأسه من مكان قدميه.

فى الخمسينيات كنا نكتب لشارع عربى ملتحم وموحد النسيج .. أما فى  
التسعينيات فنحن نكتب على الماء .. والهواء!

وأمام هذه (الشورية) التى ليس لها لون ولا طعم ولا رائحة، وأمام هذا  
الشارع العربى الممنوع من النطق، والتجول، والغضب، والاحتجاج، وممارسة  
حقوقه فى الفرح أو البكاء .. أو الانتحار .. يصبح الأدب نوعا من النفخ فى  
قربة مثقوبة، وتصبح الكتابة مشيا على زجاج مكسور.

إننى أكتب قصيدتى هذه الأيام ولا أعرف أين ستقضى ليلتها .. فى السجن ..  
أو فى غرفة الإنعاش .. أو فى ملجأ الأيتام!!

● إذا كنت تدين (المهرولون) فى اتجاه السلام أو التطبيع. ما هو  
البديل؟

○ هذا ليس شغلى. فالشاعر لا يشتغل فى الوعظ والإرشاد، ولا يخطب فى  
الناس يوم الجمعة، إنه شغل من يجلسون على رقابنا منذ خمسين عاما، ويلعبون

بنا على كيفهم، ويرسمون مصائرنا على كيفهم، ويقطعون ألسنتنا على كيفهم،  
ويسلخون جلدنا على كيفهم.

الشاعر (فرخة) يذبحونها.. ويقدمونها في الحفلات الرسمية.. فهل تستطيع  
فرخة مذبوحة أن تقدم البديل؟

أنت بسؤالك عن البديل.. تناقض ما جاء في تعليقك الذي نشرته في  
(الأهرام الدولي) بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٩٥، وفيه تقول:

«نحن نحاكم الشاعر أو المثقف بمعايير محاكمة رجل الدولة، ونحتكم إلى  
مرجعيات سياسية سلطوية.. أو حزبية معارضة. في حين ينبغي الاحتكام إلى  
مرجعيات شعبية ووجدانية.

المثقف المبدع، هو ضمير حي، يخترق المألوف والتقليدي والممكن في كل  
لحظة. وهو غير ملزم أو ملتزم بالحسابات السياسية والموقفية»..

هذا هو كلامك يا دكتور، فكيف تطلب مني أن ألتزم الموقف والحسابات  
السياسية، وأقدم البديل؟!

### المنفلوطى والتفاحة!

● سهل على الشاعر أن يتبنى أكثر الآراء لمعانا وحماسية.. ويقعد في  
حديقة غناء، أو في منزل وثير في هذه العاصمة الأوروبية أو  
تلك.. يقضم قظمة من تفاحة حمراء، ويطلق قصائده اللذيذة  
عن الكفاح المستمر. ألا تعتقد أنه قد آن الأوان لك أن تترجل عن  
جواد الأحلام الذهبي وتنزل إلى الشارع، وآلام الناس وواقعهم؟

○ عن أى تفاح - وأى حديقة غناء.. وأى منزل وثير تتحدث أيها الرجل؟..  
خيالاتك تذكرني بخيالات مصطفى لطفى المنفلوطى.. وأسلوبك في التهويل  
مثل أسلوبه.

وأنا أتحدك أن تجد في كل شعري تفاحة واحدة حمراء، أو صفراء.. أو

تجدني أقشر اللوز والفسق للفاتنات على شواطئ نيس وكان ومونت كارلو . .

أما مطالبتك لي بأن أترجل عن صهوة جواد الأحلام، وأنزل إلى الشارع، وإلى آلام الناس وواقعهم . . فهي دليل على أنك لم تقرأ شعري جيدا . . ولا تعرفني .

هل ممكن لمثقف مثلك أن يطلب مني بعد خمسين عاما من الالتحام بأجساد وأحلام وأحزان ودموع وقضايا ممتى مليون عربي أن أكون واقعيًا . . وأنزل إلى الشارع؟؟

إنني أرفض أن أدخل في حوار معك عن واقعية نزار قباني . . لأن ألوف الخناجر التي زرعها النقاد، والرجعيون، والمتزمتون في جسدي خلال خمسين عاما، كانت بسبب هذه الواقعية وفوق الواقعية التي اعتمدها في شعر الحب . . أو في شعر السياسة .

لست أنا من يُطلب منه أن ينزل إلى الشارع . . لأنني أسكن الشارع العربي منذ خمسين عاما . . فإذا كنت لا تعرف عنواني . . فأنا آسف!!

أما منازلنا في المدن الأوروبية فهي شقق متواضعة جدا، ولا تستحق هذا الحسد غير المبرر. إن منازل الكتاب والمبدعين والمغنيين العرب في العواصم الأوروبية، ليست سوى ملاجئ اضطرارية يجدون فيها الحد الأدنى من السلام والحرية .

ويؤسفني أن أقول تعليقا على هذا السؤال :

(حتى على النفي لا أنجو من الحسد)!!

- (المهرولون) أو (المحجمون) طائفتان تستند كل منهما إلى أسباب تبدو وطنية، بل وتبدو قومية. ألا ترى - كمثقف عربي كبير - أننا بحاجة إلى صياغة عقد ثقافي عربي جديد، يحدد مثل هذه المعاني

الأولية بدقة، في زمن أصبحت فيه النسبية - هي الأساس الذي  
يحكم كل المعاني والمواقف؟

○ أنا لا أعارض قيام مثل هذا العقد الثقافي العربي الجديد. شريطة أن يبقى  
في حدود المحافظة على حقوقنا التاريخية وسيادتنا وشرفنا القومي، هذه بديهيات  
لا يمكن أن تدخل في باب المساومة.

أما فكرة (النسبية) ومقولة (ليس بالإمكان أبدع مما كان) أو (عصفور في اليد  
خير من عشرة على الشجرة) فهي فلسفة طوباوية لا يعتنقها سوى المحبطين  
والضعفاء واليائسين.

● تستوقفني كثيرا هذه الروح السائدة في قصائدك السياسية، والتي  
تركز على تعذيب الذات الوطنية والقومية وتحقيرها، وكسر أي  
عامل من عوامل الزهو الوطني أيضا.. هل أجد عندك تفسيراً  
لهذا؟

○ منذ قصيدتي (هوامش على دفتر النكسة) التي كتبتها عام ١٩٦٧، تخلت  
في شعري عن عقلية (الفتوات)، والفشور.. والمرجلة.. والعنتريات  
الفارغة.. والانتفاخ القومي والشوفيني.

أين هو الزهو الوطني الذي تتحدث عنه؟ وكيف أكتب عن الشمس إذا كنت  
لا أراها.. وعن الوردة إذا كنت لا أشم رائحتها.. وعن الرقى إذا كنت أعيش  
عصور الانحطاط.

لا يمكنني تجميل وطن ما عاد جميلاً.. فأنا لست طبيياً من أطباء التجميل أو  
منشداً في الكورس الجماعي.

أنا شاهد على عصري، ورسام انطباعي يرى الأشياء بحجمها الطبيعي وألوانها  
الطبيعية، ولا يضع اللون الوردى مكان اللون الأسود.

في عصر الهزائم والسقوط والتشرذم والتفكك و (الهرولة) لا مكان لعنترة بن  
شداد.. وأبي زيد الهلالي.. وعقبة بن نافع.

هؤلاء الأبطال كانوا أبطالا في وقتهم .

أما في زمن تنكيس الرايات . . واستقالة السيوف . . وموت الصهيل . . فإن كل قصائد الفخر التي نقولها لا تساوى مليما واحدا .

### البيت المغموم!

● فإذا ما عقد العرب صلحهم مع إسرائيل، وإذا ما انخرط العرب - جميعا - في مشاريع لتنمية المنطقة بالمشاركة مع إسرائيل، وإذا ما تغيرت لغة العرب في الحديث عن أزلية الصراع وتاريخيته، فماذا أنت فاعل؟

○ قبل أن تسألني ماذا سأفعل؟ . . اسأل الإسرائيليين ماذا يريدون - بالضبط - من بلادى ومنى ومن مستقبل أولادى؟

إذا كان الإسرائيليون يريدون أن يعيشوا مع العرب وبينهم، كما كانوا يعيشون في ظل الدولة الإسلامية في يثرب، وغرناطة، وقرطبة، وطليطلة، والمغرب العربى، والقاهرة، وبغداد، ودمشق، أى مواطنين في مجتمع ديمقراطى تتساوى فيه كل الديانات والعقائد . . ويتساوى فيه المواطنون في حقوقهم المدنية وواجباتهم . . فأهلا وسهلا بهم .

أما إذا كانوا يريدون أن يحتفظوا بترساتهم النووية كما هى . . وبمستعمراتهم كما هى . . ويفكرهم البوليسى كما هو . . فهذا يعنى أنهم لم يتخلوا عن أحلامهم التوسعية وفكرهم التوراتى .

أما مؤتمرات التنمية، والترويج لفكرة السوق الشرق أوسطية، والاهتمام بالتجارة والاقتصاد والاستثمارات . . قبل الاهتمام بالمسألة القومية وبمصير الأرض التي لا تزال مرتهنة لدى الإسرائيليين . . فيشبه وضع العربة قبل الحصان .

إننى أعتقد أن فكرة السلام العادل والشامل والدائم لم تنضج - بعد - فى

الفكر الإسرائيلي. وما لم يقتنع الإسرائيليون بأننا جيرانهم، وأبناء عمومهم،  
وأنا من سلالات إبراهيم عليه السلام. . فإن الحياة معهم في بيت ملغوم في كل  
أركانه بالمتفجرات. . لن تكون حياة سعيدة أو ممكنة. .

● (متى يعلنون وفاة العرب)، توقف البعض عندها بوصفها قصيدة  
هزمت الشعور القومي وحاولت إصابته في مقتل.

هل حددت - قصدا - ملامح دورك في أن تطلع على الناس كل  
عقد أو عقدين، لتضرب شموخهم وتحطم كبرياءهم الوطنية أو  
القومية؟

○ مرة أخرى، أنت تعود لتتكلم بلغة عنتره بن شداد. .  
ومرة أخرى أقول لك: إنني لا أفتعل التعبير ولا أتقصده. . فأنا أرى،  
وأسمع، وأحس بكل ما يجري حولى. .  
إن سرادق الموت العربي منصوب في كل مكان. . والقرآن يُتلى. . والمعزون  
يجلسون في صمت.  
فكيف يمكنني أن أكتفم خبر الموت. . وكل الجرائد، والإذاعات، ومحطات  
التلفزيون نقلته على الأقمار الصناعية.  
إن موت الأنظمة - ولا أقول موت الشعوب - حادثة لا يمكن التستر عليها. .  
كما لا يمكنك إخفاء جثة في خزانة ملابسك؟!!

● أعرف - مسبقا - أنك ستحدثني عن روح القبيلية السياسية العربية،  
وعن تخلف الواقع عن طموحاتك وأحلامك، وعن العجز  
السياسي والاجتماعي في عالمنا العربي..

ولكن هل تكفى هذه العناصر لتكون مسوغات نعترف فيها -  
جميعا وطواعية عبر قصيدتك - بوفاتنا؟

○ وفاتكم تخزنى.. ولكننى لا أستطيع أن أترككم فى الثلاثه، دون أن أكتب فيكم قصيدة رثاء.. تليق بسيرتكم غير العطرة، وأنانيتكم، ونرجسيتكم، وديكتاتوريتكم التى لا تغرب عنها الشمس.

على كلِّ أنا لا أجد نفسى مضطرا للاعتذار لأحد عن قصيدتى التراجيدية.. ولكن العناصر التى ذكرتها فى سؤالك تكفى فى نظرى لقتل ديناصور.

إن الموت هو الحادثة الوحيدة التى لا يشعر فيها الميت بالعيب!

● أستاذ نزار.. أمتك - هذه - التى طالما غنيت لها، وغنيت عنها، والتى رددت أشعارك، وحفظتها عن ظهر قلب.. أتراها تستحق أن تقبع فى مكانها فى انتظار إعلان الوفاة؟

○ صيغة سؤالك تذكرنى بما كان يقوله الرئيس أنور السادات عن معارضيه من السياسيين والصحفيين..

كان يقول عنهم: (دول بيشتمو مصر).. (دول بيخونوا مصر).. (دول بيتأمروا على مصر).. فى الخارج.

وحقيقة الأمر أن السادات كان لا يفرق بينه كحاكم، وبين مصر المحكومة، فهو أبو المصريين جميعا.. وغير مسموح للأولاد أن يخرجوا على طاعة أبيهم.

وفى تاريخى الشعرى، خلط ناقدون كثيرون - وأنت واحد منهم - بين العرب، ومن يحكمون العرب.

ولأن الشعب العربى مغلوب على أمره.. ولا يحل ولا يربط، ويذهب إلى صناديق الاقتراع لينتخب بنسبة ٩٩,٩٩% إلها واحدا مدى الحياة.. فإننى لا أسمح لنفسى أن أشتم شعبا خرجت من حاراته الشعبية، ومن مواويله البلدية، ومن أعراسه ودموعه وأحزانه.

● مازال الموقف النقدى من قصيدة (متى يعلنون وفاة العرب؟) فى

إطار الاشتباك السياسي، من دون التوقف النقدي الفني أمامها، وبالطبع لا أتوقع أن تكون منتظرا نقدا فنيا لقصيدة مقاتلة. ما هي في رأيك حصيلة كل النقد الذي جوبهت به هذه القصيدة؟

○ حصيلة النقد لقصيدتي (متى يعلنون وفاة العرب؟) أنها سقطت بين أيدي القبائل فاغتصبوها كل واحد على طريقته، واحد أخذ خواتمها.. وواحد سرق أساورها.. وواحد استولى على محفظتها.. وآخرون جردوها من ثيابها، وباعوها بالمزاد العلني لقاء الحصول على بعض الدولارات وقليل من الشهرة.. وهكذا تقع كل قصائد المثيرة للجدل بين تجار البيع بالجملة والمفرق.. وبين أيدي المرتزقة.. وتجار الشنطة!

أما البحث عن بناء القصيدة، وصياغتها، وقيمها الجمالية.. فأشياء غير معروفة في سوق البورصة للثقافة العربية!

### ردح نقدي!

● يظنك البعض قد أسقطت من قضيتك الفنية والشخصية على قضية الوطن وقضية الأمة، فحين كان الموضوع ينبغي أن يكون (متى يعلنون وفاة الشعر؟) باعتبارنا في زمن داست فيه الرواية كل الأبيات، وجدناك تطرح (متى يعلنون وفاة العرب؟) في إطار تصورت فيه أن الآخرين داسوا كل مقدرات الأمة أو قدرتها على النهوض.. فانظر ماذا ترى؟

○ ما تقوله عن موت الشعر، وسقوطه تحت أقدام الرواية.. ليس صحيحا، فلا يزال الشعر هو الأكثر تأثيرا وتحريضا للإنسان العربي، لأنه جزء من موروثه الروحي والثقافي.

والشعر يشعل فتيل الانفعال في جسد المواطن العربي خلال لحظات. أما الرواية فهي علاج بطيء، ولا يحدث تأثيره إلا بعد مرور أشهر أو سنوات.

إن تجربتي الشعرية في كل مدينة عربية أقيت فيها قصائدي، تؤكد أن الشعر هو الخبز اليومي الذي يحتاج إليه كل مواطن عربي ليقى على قيد الحياة. أما الرواية فهي فاكهة يتناولها بعد وجبته الرئيسية التي هي الشعر.

● في النقد العربي الحديث والمعاصر فصل في باب الهجوم على نزار، ولهذا الفصل منظوره ومتاجروه والمرزقون به ومن وراءه... ما هي حصيلة قراءتك في هذا الباب؟

○ لا أشغل نفسي كثيرا في قراءة هذا (الروح النقدي) الذي ينشر عني، في الصحف والمجلات الأسبوعية العربية، بل أفضل أن أشتغل بكتابة قصيدة جديدة.

صحافتنا بحاجة - دائما - إلى فريسة تملأ بها معدتها ويا طالما ملأت معدة الصحافة العربية، وأسكت جوعها.. بأخباري التي لا تنتهي، حتى مللت من سماع أخباري ورؤية تصاويري.

وأنا متفق معك، في أن أفلام تجار النقد ومرزقته حولت تاريخي الشعري إلى (سوبر ماركت) وجسدي إلى وليمة.

● تسود الساحة الثقافية والفكرية العربية اليوم روح تكفيرية لافتة.. وإذا كنت - وكنا معك - ندين التكفير العربي أو القومي لكاتب من حجمك، أو لا ترى أنك أيضا في (متى يعلنون وفاة العرب؟) كنت تطرح فكرا تكفيريا ضد العروبة.. يكفرهم في إيمانهم بالعصر أو ارتباطهم به، ويكفر أحلامهم في أن يكونوا رقما صحيحا في عالم اليوم؟

○ يؤسفني أن أقول لك: إن رؤيتك لقصيدتي مشوشة، وتحليلك غير دقيق!! فأولا: أنا لم أكفر العرب، وإنما هم الذين كفروا بأنفسهم.. وخانوا تاريخهم واستعذبوا الهوان والهزيمة والغيوبة.

وثانيا: أنا لم أقطع علاقة العرب بالعصر.. إذ لا علاقة لهم بعصرهم الذين يعيشون فيه مطلقا، إنهم فئة جديدة من أهل الكهف.. لا تشعر بحركة التاريخ.. ولا بإيقاع الحياة.

وثالثا: أنا لم أمنع العرب من أن يحلموا.. بل على العكس أنا أصرخ في وجوههم حتى يفكروا.. ويحلموا.. ويغامروا.. ويبحروا إلى شواطئ المستحيل.. قبل أن يتحولوا إلى كوم من الحجارة.

● أيضا عن (متى يعلنون وفاة العرب؟). هل ترى أن السخط الذي قوبلت به كان سخطا نقديا أو جماهيريا؟

○ لا هذا.. ولا ذاك.. فالقصيدة شقت طريقها إلى الجماهير العربية، واستقبلت بحفاوة في كل مكان.

وهذا دليل على أن الموتى يعشقون الشعر، ويرقصون على إيقاعاته الجميلة!

● ولماذا آثرت أن تكتب بنفسك شهادة وفاة العرب، ولم تدع غيرك يكتبها؟

○ بما أنني الناطق الرسمي بلسان مئتي مليون عربي عاطفيا وسياسيا، فقد كلفوني أن أكتب هذه الشهادة!!

### ضريبة التنوير!

● يتأمل البعض وجودك الدائم خارج الوطن.. ويرونه نفيا اختياريا، أو نفيا بإرادتك.. هل هذا النفي رفض للوطن؟

○ في مثل سنى أعتقد أنه من حقى أن أختار مكان إقامتى وطريقة حياتى. إننى حين أفعل هذا لا أرفض الوطن، ولكننى أعطيه الوقت الكافى، حتى يشاق لى.. وأشاق إليه.

الالتصاق الدائم بالوطن أو بالمرأة، ليس ضروريا وليس صحيحا، فالمسافة بيننا وبين من نحبهم مهمة جدا، حتى تبقى المشاعر طازجة، والشوق مشتعلا.. والشعر ممكنا.

إن ألوف المبدعين في العالم، من شعراء، وقصاصين، ورسامين، وموسيقين.. اكتشفوا عبقرية المسافة بينهم وبين أوطانهم، فتحول المنفى عندهم إلى جنة تجرى من تحتها أنهار الإبداع.

الوطن قمر يزداد استدارة وجمالا وبريقا، كلما نظرنا إليه من بعيد.

- يسقط شعراء وأدباء ومفكرون مخرجين بدمائهم، تحت وطأة الجماعات الدينية المتطرفة. كما تختنق الكلمات في صدور مبدعين، وأفكار في رؤوس مثقفين، تحت وطأة إرهاب سلطات سياسية متطرفة أيضا.. أي إنتاج إبداعي يمكن أن ينشأ بين شقى هذه الرحى؟

○ ليس هناك جديد تحت شمس القهر والتطرف بكل أشكالها السياسية والدينية والثقافية. حتى الأنبياء والقديسون لم ينجوا من أذى التعصب والعذاب والصلب.. ابتداء بالسيد المسيح، ونبينا محمد بن عبد الله، ووصولاً إلى سقراط.. والحلاج.

إنها ضريبة قديمة، يدفعها كل من يفكرون بالتغيير.. أو بالتنوير، أو بخض عقول حجرية، ومجتمعات ترفض أن تتغير.

يعنى أن التصادم أزلى بين النار والماء.. بين الوردة والحجر.. بين سنبله القمح والمنجل.

وعلى الرغم من هذا السيف المسلط فوق رقابهم، سيظل الكتاب يكتبون.. والشعراء يغنون، والمفكرون يفكرون.. والعشاق يعشقون.. إذ ليس من خيار ثالث أمامهم.

- آلية العلاقة بين السلطة والكلمة.. كيف تصفها في هذا الزمان؟

○ إنها علاقة لا وصف لها، لأنها أقرب إلى علاقة السيف بالجسد، وحبل المشنقة بالرقبة.. والبلدوزر بالحصى.

ومادام السلطان لا يتخلى عن سلطته. والكلمات لا تتخلى عن سلطتها. فلا بد لصراع السلطات أن يستمر إلى الأبد.

● في دوائر السياسة، وفي مقاهي المثقفين.. هل تبصر اليوم قوى حية وفعالة، قادرة على صياغة واقع ديمقراطي جديد في عالمنا؟

○ يؤسفني أن أقول: إن الرؤية مضطربة، والأفق رمادي. فدوائر السياسة تكرر خطابها النرجسي.. والبوليسي.. والأوتوقراطي.  
ومقاهي المثقفين.. تعيد إنتاج ثرثرتها، وجدلها البيزنطي.  
لم يبق سوى المدارس والجامعات، فهي التربة الواعدة التي يمكن أن تخرج منها وردة الديمقراطية.

● (حقوق الإنسان) و (المجتمع المدني) و(الليبرالية) كلمات ثلاث تلوكها الأفواه في كل مكان في العالم العربي.

هل تعتقد أنها كلمات نافذة إلى الجمهور فكرا ووجدانا.. وهي تعبر عن احتياج داخلي حقيقي لدى كل الناس؟

○ أعجبني في سؤالك كلمة (تلوكها الأفواه)..

فنحن نلوك الكلمات الكبيرة.. كاللبان.. ولكننا لا نبلعها، ولا نبصقها.  
إننا نمضغ اللغة، والبلاغة، والشعارات، والحكم، والكلمات المأثورة.. كما يفعل الجمل الصحراوي.

وتسألني - بعد ذلك - هل كلمات مثل: الليبرالية، وحقوق الإنسان، والحرية.. هي احتياج حقيقي لكل الناس!

طبعا هي حاجة حقيقية، ولكن من كثرة ما مضغوا أمامنا الكلمات الجميلة والرنانة والموزونة، والمقفأة.. أصبحنا لا نفرق بين الحرية.. و(التشيكلتس)!!

● كيف يمكن أن تتغنى بديمقراطية الكلمة، على حين تمارس عبر قصيدتك شكلا من أشكال الديكتاتورية الفنية والإبداعية لا تعترف بغير سواه؟

○ هذا تحقيق بوليسي معي.. وليس حوارا.. فأنا لا أعرف كيف يمكن

لقصيدة أن تمارس الديكتاتورية؟!!

إننى ألقى شعري على ألوف المستمعين فى كل العواصم العربية، فهل أرغمتهم بقوة السلاح على سماع شعري، وهل حملتهم فى اللوريات حتى ينتخبونى الشاعر الأوحى؟

ثم من قال لك إننى لا أعترف بشاعر سواى؟ هل شكاك لك أحد الشعراء همّة من طغيانى وديكتاتوريتى؟!

إننى أتساءل من عند أى منجم مغربى تشتري هذه الوصفات الصحفية التى انتهى مفعولها؟!!! ..

**عن الشعر نفسه!!**

● هل ترى لقصيدة النثر شرعية أدبية فى عالمنا العربى؟

○ لست أنا الذى يمنح الشرعية لأية صرعة أدبية جديدة. بل قراء الشعر ومتذوقوه هم الذين يصدرون القرار.

● لماذا تبدو مهاجما بقسوة لشعر الحدائث؟ وهل تفعل ذلك مخافة أن

يهز مكانة قصيدتك أو سلطتها الصوتية؟

○ لقد أسست جمهورية للشعر تمتد من الماء إلى الماء.. ولم يعد هناك شىء أخاف منه، ولمعلوماتك أقول: إن الشعب العربى بذوقه الأصيل، وحساسيته المدهشة هو الذى يختار شعراءه.. وليس هناك شعراء يخرجون بالصدفة من الصندوق كأوراق اليانصيب.

● وهل تستطيع أن تقول إن قصيدة التفعيلة التى تتبناها قادرة على

الصمود. وعلى أن تكون معبرة عن زمن جديد؟

○ أنا لا أتبنى أى شكل من أشكال الشعر، وأعتبره سرمديا، إننى أكتب بحرية مطلقة، وأتحرك على الورقة كما تتحرك الريح.

أما صمود القصيدة، فلا علاقة له بزمن كتابتها، وشكل كتابتها.. بل له

علاقة بشعريتها فقصائد المتنبي رغم مرور أكثر من ألف عام عليها لاتزال طازجة، وناضرة، ومتداولة على ألسنة الناس .  
أما قصائد الحدائة، فلا تجد من يتداولها في أى سوق من أسواق البورصة في العالم العربى .

● إذا لم تكن عبر قصائدك قد رببت أجيالا لخمسين عاما مضت  
قادرة على التصدى وعلى نسج الحلم الجميل، فإن ذلك لا بد أن  
يدفعك إلى التساؤل عن الخطأ فى شعرك، والخطأ فى أفكارك..  
هل فكرت بهذه الطريقة؟

○ أنا عصفور يغنى لهذه الأمة.. ولست مجلس السوفييت الأعلى أو مجلس الكونجرس، أو مجلس قيادة الثورة.  
العصافير لاتخطئ.. ولكن الذين يخطئون هم الذين ينتفون ريش العصافير،  
ويقتلعون حناجرها.

طائر السنونو لا يصنع وحده ربيعا.. كما يقولون.  
والشعر لا يستطيع أن يقف وحده فى وجه البشاعة، والقمع، والتلوث،  
ومصادرة الأفكار، ومصادرة الأعمار.  
والقصيدة وحدها، لا يمكنها أن تنقض على الجاهلية فتحولها خلال لحظات  
إلى فردوس ثقافى، وتدخلها إلى عصر النهضة.

● أين أنت من خارطة المسرح الشعرى فى عالمنا العربى؟

○ المسرح الشعرى تجربة لم أفكر يوما من الأيام فى دخولها، وهذا المسرح  
إلى انحسار حتى فى أوروبا، لأنه يعتمد لغة عالية فى تأليفها وصياغاتها  
وجمالياتها، لا تستطيع - فى أكثر الأحيان - ملامسة الوجدان الشعبى . فالشعب  
فى كل مكان يريد مسرحا يتكلم لغته، ويعكس همومه اليومية البسيطة.. يريد  
مسرحا يشبهه .

وأنا - شخصيا - مع المسرح المكتوب باللغة العامية، لأنه مسرح طبيعي، وعفوي، ولا افتعال فيه.

● المرأة كائن افتراضى يسيطر على كتاباتك الشعرية.. لماذا؟..

وأیضا هل يمكن أن تقنعنا بحدائثة التجربة العاطفية لديك، والتي تجعلك تغرد بحب امرأة.. وعشق امرأة.. والتغزل فى امرأة؟

○ أود أن أصحح قولك إن المرأة كائن افتراضى.. لأن المرأة فى حياتنا، جزء من أنفاسنا، وأعصابنا، وتفكيرنا، ودورتنا الدموية.. أنا لا أفترض النساء، يا عزيزى الدكتور، ولكننى أعشقهن.. وأعجنهن بجلدى، ولحمى، ولغتى، وحرورى.

ثم لا أفهم معنى سؤالك عن حدائثة التجربة العاطفية.. فهل تعتقد أن الحب هو موضة تتغير كل عام!

ليس هنالك - يا عزيزى - حب قديم، وحب حديث.. وإنما هناك حب واحد يشترك فيه قيس بن الملوح، وجميل بثينة، وفالتينو، ونزار قباني!!

● ما هى حكايتك مع مصر.. ما هى حكايتك مع القاهرة؟

قررت ثم عدلت أن تستقر بها فى الثمانينيات.

حضرت فى معرضها للكتاب واحتضنك الناس بحرارة بالغة، ثم اعتذرت فى العام الماضى رغم إلحاح المسئولين والمثقفين.

كيف تنظر للقاهرة؟ هل بوصفها رقما فى حرب العواصم الثقافية فى عالمنا العربى؟... ..

هل بوصفها مقرا ومستقرا لبعض العناصر التى احترفت الهجوم على كلماتك؟

هل بوصفها العاصمة التي لا تقدر على إغداق الذهب على الشعراء، كما أنها العاصمة التي لا يتسلطن أو يستوزر فيها شاعر؟

بصراحة أكثر.. هل احتجبت عن القاهرة، أم احتجبت عنك؟ وهل كان موقفك وليد فكرة، أو مبدأ، أو مصلحة؟

○ أنت في سؤالك هذا، تشبه العزول، الذي يحاول ليلا ونهارا الإيقاع بين عاشقين.. فكل ما تقوله - يا عزيزي - أوهام في أوهام.

فعلاقتي مع مصر سمن وعسل.. وحكايتي مع (بهية) و (عيون بهية) معروفة ومشهورة، ومبثوثة على جميع الأقنية والأقمار الصناعية.

مصر الأربعينيات أروضتني حليب الثقافة، ومصر الخمسينيات علمتني الزهو القومي، ومصر الستينيات أطلقتني كوكبا في تاريخ القصيدة المغناه.. ومصر الثمانينيات لا تزال تسأل عنى، وتتابع أخبارى الشعرية كأننى واحد من أبنائها.

أما قضايا الإقامة والرحيل، فهى جزء من قدر الشاعر، فلا هو يعرف متى يبحر، ولا أين ترسو سفينته.

أما قراءة الشعر في معرض الكتاب، فليست خدمة عسكرية أنفذهها كل عام.. إننى لا أحب أن أحول قصائدى إلى عادات.. حتى تبقى علاقتى مع الجمهور دائما طازجة ومسكونة بالدهشة.. وهذا قرار اتخذته من زمان.

أما عن الذهب، فهو - كما تعلم - لا يشكل هما من همومى.. إن ثروتى الوحيدة هى قصائدى وجماهيريتى.. ولو كنت ممن يقفون على أبواب الخلفاء والسلطين.. لكننى - الآن أغنى من أوناسيس، وأغاخان، ومملكة بريطانيا.

إن مصر - عندى - سبيكة من الذهب.. لا أبادلها بكل ما فى خزائن الدنيا من سبائك.

ذهب مصر موجود فى ترابها العنبرى، فى نيلها العظيم، فى ترعها وكباريها،

فى أشجار قطنها، فى أصوات مؤذنيها، وعرق فلاحيتها، والكحل الذى يطر من  
عيون نسائها...

هذه هى إفادتي عن عشقى المصرى.. وعليها توقيعى.

- ١٩٩٥ -

